

المرجعية الدينية بين العلوم العقائدية والوعي السياسي



يحتاج الفكر عادة الى وعي عقائدي يصحبه وعي سياسي لأجل تكامل الشخصية. وفي حالة غياب الوعي السياسي يبقى العلم محفوظاً في العقول كما هو محفوظ في الكتب أو على الرفوف. فأيهما أفضل؟ حياة الفكر في نشاطه وبشروطه أم على عادة الفكر المسجون المقيد؟! لقد تفاعلت المرجعية الدينية وعبر قرون عديدة في طريقها العلمي وأخذت على عاتقها نشر المعارف الدينية في الوقت الذي إتخذت فيه التقية عنواناً لها في الجانب السياسي والحركي الثوري ولم تلجأ للخوض في ما يخص الحكم والسلطة فكانت في أمان وفرت فيه على نفسها فرصة الإنقضاء عليها والقضاء على وجودها.

وفي مثل تلك الظروف عملت القيادات الثورية للأمة من خارج المرجعية في جانبها السياسي والحركي للقيام بالحركات الثورية العلنية والسرية في ظروف مختلفة وفي أوقات المحنة على مدى عدة قرون دون أن تعرض المرجعية الى المخاطر التي قد تلجأ اليها السلطة الظالمة. وأما في العصر الحديث فقد إتسمت بعض المسارات التي تحركت فيها المرجعية في مواضع حساسة فيها خدمة للمجتمع من أجل التغيير كما حدث في:

ثورة التنباك أيام مرجعية آية الله العظمى السيد محمد حسن الشيرازي الكبير، وفي حركة إسقاط حكم الشاه على يد المرجع الديني آية الله العظمى السيد روح الله الموسوي الخميني، حيث نجح كل منهما من إسقاط هيبة الأنظمة الجائرة و الفاسدة.

وفي العراق تحركت مرجعية آية الله السيد الحكيم ومرجعية آل الصدر متمثلة بكل من

المرجعين السيدين آية الله محمد باقر الصدر ومحمد بن محمد صادق الصدر، وكذلك أسرة آل الحكيم وعلى رأسها كل من السيدين آية الله مهدي الحكيم وآية الله السيد محمد باقر الحكيم في مكافحة النظام البعثي في مواجهة الحملة الطالمة التي طالت الأكراد والشيعة أبا الحكم الدكتاتوري البغيض.

وأخيراً نشير إلى مواقف المرجعية الرشيدة في النجف الأشرف التي إلتصت بالحكمة في ظروف بالغة التعقيد لم يشهدها العراق من قبل دون أن تخوض فيما لا يناسبها من النزول إلى المستوى الذي يقلل من هيبتها وذلك لطول باعها وقراءتها الصحيحة للأحداث والتاريخ. إن خوض شخصية من داخل المرجعية وخروجاً على الإجماع المرجعي يعد انفصلاً عن وحدة الكلمة الموضوعية وتعبيراً عن نقص الوعي السياسي وعدم القراءة الصحيحة للإوضاع وإصدار أحكام صريحة أو تلميحية في غير محلها.. فالوعي العقائدي لا بد أن يصحبه وعي سياسي مناسب قادر على إستيعاب الظروف المعقدة التي تحكمها أوقات المحنة والإبتعاد عن المؤثرات الجانبية المؤثرة في عقلية المرجع خصوصاً عندما يُستَغَلَّ الفراغ السياسي لعقلية المرجع الذي لا يمتلك قراءة موضوعية لحظية صحيحة للأحداث والشخصيات وفي محاولات منفردة تتصف بالإضطراب ولا تتسم بالنظر المائب.

إننا نهيب بأي مرجع أن لا ينزلق في متهاتات السياسة والسياسيين لئلا يتعرض إلى الخدع السياسية فيكون من النادمين كما حدث لرفاعة بن شداد، إذ إن أية قراءة سطحية تأتي على ألسنة بعض الساسة الطامعين في الحكم والسلطة إنما تؤدي إلى إرباك العملية السياسية.. فقراءة التاريخ الصحيحة ترشدنا في مراجعتنا إلى جوهر الموضوع الذي نتحدث حوله من خلال موقف رفاعة الضعيف في المواجهة المضادة للمختار بن أبي عبيدة الثقفي التي قادها ضد بنو أمية وذلك لسوء تقدير من رفاعة!

ولأجل أن لا تتكرر مواقف رفاعة وغيره لا بد لنا أن نميز بين الغث والسمين وأن نقرأ الأحداث والشخصيات كما ينبغي، وأن لانصد الأحكام فئساً بين الإمام علي عليه السلام وبين النكرة معاوية، أو بين الإمام الحسين عليه السلام وبين النكرة يزيد، أو بين زياد بن أبيه والشمر وعمر بن سعد النكرات وبين المختار.

إن الوعي السياسي يجب أن يصحب الوعي العقائدي وأن المرجع لكي يكون قائداً عليه أن يجسد دخوله الميدان السياسي كما دخلته العمالقة أمثال السيد الخميني والسيد محمد باقر الصدر والسيد محمد باقر الحكيم لنميز بين صدام، وبين المؤمن الصادق الحليم كما كنا نميز بين عبد الله بن الزبير وإخاه مصعب الضالَّين من جهة، وبين المختار من جهة أخرى.

أقول هذا راجحاً أن لانفسح المجال للاعداء والمتربصين أن ينالوا من جبهة المجاهدين المرابطون في الثغور وحتى قيام دولة العدل الكامل، دولة إمامنا المهدي المنتظر عليه

السلام عجل الله تعالى فرجه الشريف.

كل إحترامنا وتقديرنا للمراجع الدينية كافة خصوصاً المراجع الأربعة المشهورة ولمواقفها الحكيمة خصوصاً تلك التي تتسم بالحيادية والوقوف على مسافة واحدة من الجميع.

إننا نتمنى أن تشخص المرجعية جبهة الأعداء من التكفيرين والمجرمين الذين لا يتورعون عن ضرب الوحدة الوطنية من الذين يتربصون بهم وبنا الدوائر، ولكي لانكون الأضعف والأقل حظاً بعد أن نالوا منا طيلة قرون ولا يزالون لا ينفكّون عن ضرب الوحدة فيما بيننا.

إن الوعي السياسي يجب أن يكون من مميزات أبناء الأمة وعلى أبناء الامة نكران ذاتهم والذوبان في وحدة المصير والعمل على تحقيق الأهداف المشتركة دون النزول الى الدرك الأسفل من الكيد والتضليل وإشاعة الأخبار الكاذبة التي لاتنفع وينتفع منها الأعداء.

إننا نشكر الله سبحانه وتعالى أن يكون بيننا مراجع عظام وعلى رأسهم آية الله العظمى السيد السيستاني، إذ لاتزال المرجعية الرشيدة تنأى بنفسها عن الخوض فيما ليس فيه مصلحة الأمة خصوصاً في أوقات المحنة ومنها أوقات الإنتخابات الحرة التي يجب أن لانؤثر فيها على أصوات الناخبين وخيارات المواطنين الحرة والله الموفق.